الزبور/المزامير الاشتقاق والدلالة

دكتور/ سليمان محمد أمين السلامة
كلية التربية والآداب- جامعة تبوك
المملكة العربية السعودية

الملخص:

يتناول هذا البحث كلمة (الزبور) الواردة في القرآن الكريم من حيث الاشتقاق والدلالة، وبما أن (الزبور) هو الكتاب السماوي الذي أنزله الله تعالى على نبيه داود عليه السلام، فسيقوم البحث بمقابلة كلمة (الزبور) بكلمة (المزامير) التي نسبت أيضاً للنبي داود عليه السلام، وهل الكلمتان من جذر واحد؟ وذلك من خلال مقارنة اللفظ العربي بنظائره في اللغات السامية الأخرى شقيقة العربية.

وتتبع مشكلة البحث من اختلاف أقوال المفسرين في تفسير (الزبور)، إذ ذهبوا في ذلك مذاهب شتى. أمّا الدافع الذي حدا بنا إلى اختبار هذا الموضوع، فينطلق من أمرين:

الأول: قوله تعالى: "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ"، فالله عز وجل يحيلنا إلى كلام سابق ذكره في الزبور؛ لذلك عدنا إلى المزامير، للبحث عمّا كتبه الله تعالى في هذا الموضوع.

الثاني: هو قول حمزة المكي في أصل لفظ (الزبور): إنه اسم سرياني، لذلك عدنا إلى اللغة السريانية لنتعرف على أصل هذا اللفظ وما يعنيه في تلك اللغة.

وستبين الدراسة أن (الزبور) هو (المزامير)، وذلك من خلال المعلومات التي أرادنا الله جل جلاله أن نعود إليها. وبدا لنا أن الكلمتين من اشتقاق واحد، وذلك من خلال العودة إلى النظائر في اللغة السريانية وبعض اللغات السامية الأخرى.

أمّا المنهج المتبع في الدراسة فهو المنهج الوصفي، إضافة إلى أننا استأنسنا بالمنهجين التاريخي والمقارن؛ لما لهما من دور كبير في إثراء الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الزبور، المزامير، داود، القرآن الكريم، التوراة، الاشتقاق، الدلالة، السياق القرآني.

Summary:

This research deals with the word (Al-Zabur) mentioned in the Holy Qur'an in terms of derivation and connotation, and compares this word to (Psalms). Are the two words from the same root? This is done by comparing the Arabic pronunciation with its counterparts in other Semitic languages, sister to Arabic.

As for the first motive that led us to examine this topic, it is the Almighty's saying: "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ" God Almighty refers us to words previously mentioned in the (Al-Zabur); Therefore, we returned to the Psalms, to search for what God Almighty wrote on this subject.

The second motive: is what Hamza al-Makki said about the origin of the word (Zabur): It is a Syriac name, so we returned to the Syriac language to learn about the origin of this word and what it means in that language.

The study will show that (Al-Zabur) are (the Psalms), through the information that God Almighty wanted us to return to. It seemed to us that the two words come from the same derivation, by going back to the counterparts in the Syriac language and some other Semitic languages.

The approach followed in the study is the descriptive approach, in addition to that we relied on the historical and comparative approaches. Because they play a major role in enriching the study.

Keywords: Al-Zabur, Psalms, David, the Holy Qur'an, the Torah, derivation, significance, Quranic context.

المقدمة:

ذكر في القرآن الكريم (الزبر) و(الزبور) في أكثر من آية، ويستدل من هذه الآيات أن الله سبحانه يحيل إلى كلام سابق ذكره في الكتب السماوية التي سبقت نزول القرآن الكريم، والكتب السماوية المحال إليها أو التي ذكرت في القرآن الكريم هي التوراة والإنجيل والزبر أو الزبور وصحف إبراهيم وصحف موسى. وقوله تعالى: "وآتينا داود زبوراً" دليل واضح على أن الكتاب المنزل على نبيه داود اسمه (الزبور)، فهل (الزبور) هو نفسه (المزامير)، وهل الإحالات القرآنية إلى الزبور أو الزبر هي إحالات إلى مزامير داود؟

إذن يقف هذا البحث على أصل كلمة (الزبور) الواردة في القرآن الكريم، ومن ثم البحث عن الدلالة الأصلية التي تؤديها هذه الكلمة، وهل لها صلة بكلمة (المزامير) من حيث الاشتقاق والدلالة؟ وبما أن هذه الكلمة ارتبطت بالنبي داود عليه السلام، فلا بد من إلقاء نظرة على حياة داود عليه السلام، وبما تمتّع به من قدرات منحه الله تعالى إياها، ولا بد أن نتعرّف على (مزامير داود)؛ لأن ذلك يعيينا على تحقيق ما نصبو إليه في بحثنا هذا.

لذلك سيرتكز بحثنا على النقاط التالية:

١- أخبار داود عليه السلام في التوراة والقرآن الكريم.
٢- سفر المزامير.
٣- اشتقاق (الزبور).
٤- دلالة كلمة (الزبور) في القرآن الكريم على حسب أقوال المفسرين.
٥- معنى (الزبور) على حسب السياق القرآني.
٦- الخاتمة.

أولاً- أخبار داود (عليه السلام) في التوراة والقرآن الكريم:

يُشار إلى أن (داود) هو اسم معناه في العبرية (محبوب) وهو ابن يسَّى، وكان أصغر ابن بين ثمانية بنين: וְדָוִד בֶּן־אִישׁ אֶפְרָתִי הַזֶּה וּשְׁמוֹ יִשַׁי וְלוֹ שְׁמֹנָה בָנִים. وكان داود هو ابن ذلك الرجل الأفراتي الذي اسمه يسَّى، وكان ليسَّى ثمانية بنين[1].

أمّا أوصافه فقد كان داود أشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر: וַיִּשְׁלַח וַיְבִיאֵהוּ וְהוּא אַדְמוֹנִי עִם־יְפֵה עֵינַיִם וְטוֹב רֹאִי. فأرسل وجاء به، وكان حسن العينين، وسيم المنظر[2].

وبما أنه كان أصغر الأبناء فقد كُلّف بمهمة العناية بأغنام أبيه، وقد أظهر إخلاصاً نادراً وشجاعة فائقة في هذه المهمة، فقد قتل أسداً ودبّاً هاجما القطيع: וַיֹּאמֶר שְׁמוּאֵל אֶל־יִשַׁי הַתַּמּוּ הַנְּעָרִים וַיֹּאמֶר עוֹד שָׁאַר הַקָּטָן וְהִנֵּה רֹעֶה בַּצֹּאן. ثم قال له: أهؤلاء جميع بنيك؟ فأجابه: بقي الصغير وهو يرعى الغنم[3]. וַיֹּאמֶר דָּוִד אֶל־שָׁאוּל רֹעֶה הָיָה עַבְדְּךָ לְאָבִיו בַּצֹּאן וּבָא הָאַרְיֵ וְאֶת־הַדֹּוב וְנָשָׂא שֶׂה מֵהָעֵדֶר: וְיָצָאתִי אַחֲרָיו וְהִכִּתִיו וְהִצַּלְתִּי מִפִּיו וַיָּקָם עָלַי וְהֶחֱזַקְתִּי בִּזְקָנוֹ וְהִכִּתִיו וַהֲמִיתִיו. فقال داود لشاول: أنا يا سيدي أرعى غنم أبي، فإن جاء أسد أو دب وخطف شاة من القطيع، أجري وراءه وأضربه وأنقذها من فمه، فإذا وثب علي، أمسكه من ذقنه وأضربه حتى أقتله[4].

وتؤكّد التوراة كما يؤكّد القرآن الكريم على قوته وذلك من خلال قتله للمحارب المسمّى جالوت وهو في حداثة سنه: וַיֶּחֱזַק דָּוִד מִן־הַפְּלִשְׁתִּי בַּקֶּלַע וּבָאֶבֶן וַיַּךְ אֶת־הַפְּלִשְׁתִּי וַיְמִיתֵהוּ וְחֶרֶב אֵין בְּיַד־דָּוִד. (بهذا انتصر داود على جالوت بالمقلاع والحجر، وأصابه وقتله، من غير أن يكون مع داود سيف)[5]. وهذا ما يؤكده القرآن الكريم: "وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء"[6].

وذكر كلاعب ماهر وبطل شجاع يعمل في الحرب ببأس لحداثته وشبابه، وقد أفاد كثير من موسيقاه ورضي كثيراً عن أخلاقه[7].

---

[1] – صموئيل١، ١٢/١٧.
[2] – صموئيل١، ١٢/١٦.
[3] – صموئيل١، ١١/١٦.
[4] – صموئيل١، ٣٤/١٧-٣٥.
[5] – صموئيل (١) ١٧/٥٠.
[6] – البقرة/٢٥١.
[7] – عبد الملك، بطرس، وآخرون: **قاموس الكتاب المقدس الكامل**، تأليف: نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، ط/٦، منشورات: مكتبة المشعل في بيروت بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط، ١٩٨١م، ص٢٤٩.

وقوله تعالى: "وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ"[1]. يشير إلى القوة التي كان يتمتع بها داود عليه السلام، إذ قيل إنه كان لا يحتاج أن يُدخل الحديد ناراً ولا يضربه بمطرقة، بل كان يفتله بيده مثل الخيوط، والسابغات التي هي الدروع، كان داود أول من عملها من الخلق[2]. قال تعالى: " أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ"[3]. وهناك إشارات في التوراة إلى أن داود عليه السلام كان يمتلك الدروع: וַיִּתֵּן הַכֹּהֵן לְשָׁרֵי הַמֵּאוֹת כ הַמֵּאוֹת ק אֶת־הַחֲנִית וְאֶת־הַשְּׁלָטִים אֲשֶׁר לַמֶּלֶךְ דָּוִד אֲשֶׁר בְּבֵית יְהוָה. (فأعطى لقادة الوحدات العسكرية الحراب والدروع التي للملك داود في بيت الله)[4].

وفي قوله تعالى: "وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ"[5]، أي جعلنا له ملكاً كاملاً من جميع ما يحتاج إليه الملوك، فيحكى أنه كان أشد أهل الدنيا سلطاناً، فكان يحرسه في كل يوم الآلاف من الجنود المدججين بالسلاح. "وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ" يعني الفهم والعقل والفطنة والعدل، أمّا "فَصْلَ الْخِطَابِ" فهو الشهود والأيمان، أو الفصل في الكلام والحكم[6].

ونظراً لما تمتع به داود من القوة والحكمة والفطنة اختاره سبط يهوذا ملكاً عليه بعد موت شاول: וַיִּמְלֹךְ דָּוִיד עַל־כָּל־יִשְׂרָאֵל וַיְהִי עֹשֶׂה מִשְׁפָּט וּצְדָקָה לְכָל־עַמּוֹ. (وملك داود على كل إسرائيل، وكان يحكم بالعدل والصلاح لكل شعبه)[7]. ثم اختارت كل الأسباط دواد ملكاً على كل بني إسرائيل، وبادر للحال بتأسيس المملكة. وختم حكمه بتثبيت سليمان على العرش وارثاً له: וְדָוִיד זָקֵן וְשָׂבֵע יָמִים וַיִּמְלֹךְ אֶת־שְׁלֹמֹה בְנוֹ עַל־יִשְׂרָאֵל. (وشاخ داود وشبع من الحياة، فجعل سليمان ابنه ملكاً على إسرائيل)[8]. ومات داود في السنة الحادية والسبعين من عمره بعد أن حكم أربعين سنة أو يزيد[9].

وقد عُدّ داود منذ حداثته مرنم إسرائيل الحلو: וְאֵלֶּה דִּבְרֵי דָוִד הָאַחֲרֹנִים נְאֻם דָּוִד בֶּן־יִשַׁי וּנְאֻם הַגֶּבֶר הֻקַם עַל מְשִׁיחַ אֱלֹהֵי יַעֲקֹב וּנְעִים זְמִרוֹת יִשְׂרָאֵל. هذه

---

[1] – سبأ/١٠.

[2] – ابن كثير، إسماعيل بن عمر: **تفسير القرآن العظيم**، قدّم له: يوسف مرعشلي، بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٨م، ٤٩٧/٦.

[3] – سبأ/١١.

[4] – الملوك (٢)، ١٠/١١. وينظر: أخبار الأيام (٢)، ٩/٢٣.

[5] – ص/٢٠.

[6] – تفسير ابن كثير، ٥٨/٧–٥٩.

[7] – أخبار الأيام (١)، ١٤/١٨.

[8] – أخبار الأيام (١)، ١/٢٣.

[9] – قاموس الكتاب المقدس، ص٢٥٠–٢٥١.

كلمات داود الأخيرة: كلام داود بن يسَّى، كلام الرجل السامي المقام، كلام الذي مسحه إلـــه يعقوب كلام مرنم إسرائيل العذب[1].

وقد نسبت إليه المزامير، وذُكر شغفه بالموسيقى، فقد كان يضرب على القيثـــارة أو العود بمهارة فائقة: וַיַּעַן אֶחָד מֵהַנְּעָרִים וַיֹּאמֶר הִנֵּה רָאִיתִי בֵן לְיִשַׁי בֵּית הַלַּחְמִי יֹדֵעַ נַגֵּן וְגִבּוֹר חַיִל וְאִישׁ מִלְחָמָה וּנְבוֹן דָּבָר וְאִישׁ תֹּאַר וַיהוָה עִמּוֹ. فقال أحد خدمه: رأيت ابناً ليسَّى يحسن الضرب بالعود، وهو شجاع وأهل للحرب، وفصيح حسن المنظر، والـــرب معـــه[2]. ويذكر أنه إذا عزف على العود كان يؤثر في المريض، ويجعله يتماثل إلى الشفاء: וְהָיָה בִּהְיוֹת רוּחַ־אֱלֹהִים אֶל־שָׁאוּל וְלָקַח דָּוִד אֶת־הַכִּנּוֹר וְנִגֵּן בְּיָדוֹ וְרָוַח לְשָׁאוּל וְטוֹב לוֹ וְסָרָה מֵעָלָיו רוּחַ הָרָעָה (وكان إذا اعترى شاول الروح الشرير من عند الله يأخذ داود العود ويضرب به، فيستريح شاول وينتعش، وينصرف الروح الشرير عنه)[3].

هذا ولم تذكر التوراة بنص صريح أن داود هو نبي من أنبيـــاء الله، بـــل ذكـــر كملك على بني إسرائيل، لكن هناك إشارات واضحة في التوراة تؤكّد على نبوتـــه، فـــإذا نظرنا إلى قوة تعلقه بالله وشدة إخلاصه له وروعة إيمانه به أمكننا أن ندرك كيـــف أنـــه دعي رجلاً حسب قلب الله: בִּקֵּשׁ יְהוָה לוֹ אִישׁ כִּלְבָבוֹ. بل اختار الله له رجلاً يرتاح له قلبه[4]. וַיְהִי דָוִד לְכָל־דְּרָכָו מַשְׂכִּיל וַיהוָה עִמּוֹ. وكان داود ينجح في كل ما يعملـــه، لأن الله معه[5].

وقد خدم جيله بمشورة الله ورقد: (لكن داود مات بعدما خدم جيله بحسب قـــصد الله)[6]. وإن ما له من الأثر في الجنس البشري عظيم إلى حد كبير، فقد أسس ملكاً، وأنشأ المزامير التي أنشدت في كل بقاع العالم طوال قرون، وكلما أنشدت بعثت في المـــرنمين حياة روحية قوية[7].

إذن الصفات التي كانت للنبي داود عليه السلام كثيرة، فمن حيث الـــشكل كـــان حسن العينين ووسيم المنظر، إضافة إلى صفات كانت تتمتع به شخصيته، إذ كان قويـــاً، وحكيماً وفطناً وعدلاً (يفصل في الكلام)، إضافة إلى أخلاقه العالية. أمّا الجانب المهم في شخصيته والذي يتصل بالبحث، فهو شغفه بالموسيقا وولعه بالعزف على العود، إضـــافة

[1] – صموئيل٢، ١/٢٣.
[2] – صموئيل١، ١٨/١٦.
[3] – صموئيل١، ٢٣/١٦.
[4] – صموئيل١، ١٤/١٣.
[5] – صموئيل١، ١٤/١٨.
[6] – أعمال الرسل، ٣٦/١٣.
[7] – قاموس الكتاب المقدس، ص٢٥٢.

إلى صوته العذب، هذا الجانب جعله يترنم بالمزامير التي هي تسابيح لله عز وجل، هذه الترانيم التي جعلت كل من يسمعها منه يرددها، ليس البشر فقط، بل حتى الحيوانات والجبال.

ثانياً – سفر المزامير:

يحتوي سفر المزامير على مائة وخمسين مزموراً أوحاها الله سبحانه وتعالى إلى عبده داود عليه السلام، وقد كان عليه السلام ينشدها ويسبح بها في الصباح وفي المساء بصوت في غاية الجمال وكانت الجبال والطير تردد معه عليه السلام هذه الابتهالات بأمر من الله فقال عز من قائل: "إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ"[1].

ويسمى سفر المزامير في العبرانية (كتاب الحمد)، كما دعاه المسيح عليه السلام (كتاب المزامير): (لأن داود نفسه يقول في كتاب المزامير، قال الله لسيدي: اجلس عن يميني)[2]. والاسم العبري لهذا السِّفْر هو: "سِفر تهيللييم Sepher Tehillim"، أي سِفْر التسابيح، فهو سفر تسبيحي؛ لأنه لا يكاد يخلو مزمور من نوعٍ من التمجيد والتسبيح لله. وقد عرف باسم مزامير داود فقط بالنسبة لعدد المزامير التي نسبت لداود وبلغت (٧٣) من (١٥٠)[3].

وتقسم هذه المزامير إلى خمسة كتب، تنتهي كل منها بتسبيحة وتكرار لفظ آمين مرتين، أضافها جامعو الكتاب لا مؤلفو المزامير. ولعل هذا التقسيم الخماسي يرمز إلى الأسفار الموسوية الخمسة، وهو تقسيم قديم جداً يرى بوضوح في الترجمة السبعينية كما في الأصول العبرانية القديمة. ويتضمن القسم الأول (٤١) مزموراً، منها (٣٧) لداود. أمّا القسم الثاني أو الكتاب الثاني فيتضمن (٣١) مزموراً، منها (١٨) لداود، وينتهي هذا القسم بالقول: (آمين ثم آمين. تمت صلوات داود بن يسَّى). ويتضمن الكتاب الثالث (١٧) مزموراً، واحد منها لداود. ويتضمن الكتاب الرابع (١٧) مزموراً أيضاً، اثنان منها لداود. ويتضمن الكتاب الخامس (٤٤) مزموراً، منها (١٥) لداود. وقد نسب هذا التقسيم إلى عصر نحميا، كما ورد هذا التقسيم في الترجمة السبعينية[4].

---

[1] – ص/١٨–١٩.

[2] – لوقا، ٢٠/٤٢.

[3] – قاموس الكتاب المقدس، ص٢٩١.

[4] – قاموس الكتاب المقدس، ص٢٩٢.

وتستعمل هذه المزامير في عبادة الكنيسة المسيحية وتناسب ذوق جميع الطوائف على حد سواء؛ ولعل هذا دليل على كونها موحى بها من الله، وهي صادرة من أعماق القلب الإنساني في نسبته لله تعالى، وتعبّر عن حاسيات الشكر والحمد والتوبة والحزن والغم والرجاء والفرح عامة، على نحو يجعل كل نفس تقية في كل عصر وكل بلد تشعر بمناسبتها لاحتياجاتها. وصارت المزامير أساس كثير من الترانيم المسيحية المستعملة في العبادة الفردية والجمهورية في كل المسكونة[1].

وهذه أمثلة من مزامير داود:

نورد فيما يلي أمثلة من مزامير داود التي هي تسابيح وأدعية خالية من التشريعات والأحكام:

مثال١: المزامير ١(١-٦):

- هنيئا لمن لا يتبع مشورة الأشرار، ولا يسير في طريق الخطاة، ولا يجلس مع الساخرين *بل يفرح بشريعة الله، ويتأمل فيها نهاراً وليلاً *فيكون كشجرة مغروسة عند مجاري المياه، تعطي ثمرها في أوانه، وورقها لا يذبل، وكل ما يعمله ينجح *ليس هذا حال الأشرار، بل هم كالتبن الذي تبدده الريح *لذلك لا يهرب الأشرار من عقاب يوم الدين، ولا يكون الخطاة في جماعة الصالحين *لأن الله يحفظ الصالحين في الطريق، أما الأشرار فهم في طريق الهلاك.

مثال٢: المزامير ٤(١-٨):

- يا إلهي الصالح، استجب لي حين أدعوك .أعني في الضيق، ارحمني واسمع صلاتي *أيها الناس، إلى متى تحولون مجدي إلى عار؟ إلى متى تحبون الباطل وتلجأون إلى الكذب؟ *اعلموا أن الله اختار لنفسه من يخلص له الله يسمع حين أدعوه *إن غضبتم فلا تخطئوا .افحصوا قلوبكم بهدوء وأنتم في فراشكم *قدموا قرابين الصلاح، واتكلوا على الله *كثيرون يقولون" :من يرينا خيراً؟ "أشرق علينا بنور وجهك يا رب *ملأت قلبي بفرح أعظم من فرح من امتلأت ديارهم بالغلال والخمر *أرقد وأنام في سلام، لأنك أنت وحدك يا رب تحفظني في أمان.

مثال٣: المزامير ٦(١-٥):

- يا رب لا توبخني بغضبك، ولا تؤدبني بغيظك *ارحمني يا رب لأني ضعيف، اشفني يا رب لأن عظامي توجعني *نفسي مضطربة جداً، وأنت يا رب فإلى متى تنتظر؟ *

[1] – قاموس الكتاب المقدس، ص٢٩٢-٢٩٣.

ارجع يا رب وأنقذني، نجني من أجل رحمتك *فليس بين الموتى من يذكرك، ولا في القبر من يحمدك.

مثال٤: المزامير ١٤٨(١-١٠):

- لله الحمد، سبّحوا الله من السماوات، سبّحوه في الأعالي *سبّحوه يا كل ملائكته، سبّحوه يا كل ملائكته السمائية *سبّحيه يا شمس ويا قمر، سبّحيه يا كل النجوم المشرقة *سبّحيه يا أعلى السماوات، ويا أيتها المياه التي فوق السماوات *كل هذه، لتسبّح اسم الله، فهو الذي خلقها بأمره* وثبتها إلى الأبد، وأقام لها حداً لا تتعداه *سبّحي الله من الأرض يا وحوش البحر، ويا أعماق المحيطات *سبّحوا الله أيها البرق والبرد، والثلج والسحاب، والريح العاصفة المنفذة أمره، *والجبال والتلال، والشجر المثمر وكل الأرز، *والوحوش وكل البهائم، والزواحف والطيور.

ثالثاً- اشتقاق (الزبور):

بداية نشير إلى معنى (المزامير) في العربية، وكذلك في العبرية والآرامية وبعض اللغات السامية الأخرى شقيقة العربية. فالفعل (زَمَرَ) في العربية معناه: غَنَّى فِي القَصَبِ، وَيُقَالُ لِلْقَصَبَةِ الَّتِي يُزْمَرُ بِهَا زَمَّارَةٌ. ويشتق من هذا الاسم (مزمور) الذي يجمع على (مزامير)[١]. ولدينا في العبرية الفعل (זמר، zāmar)[٢] وفي الآرامية (זמֵר، zāmēr)[٣] وفي السريانية (zmar)[٤] وفي الحبشية (zamara)[٥]، وكلها بمعنى: غنّى/رتّل/رنّم. أمّا (المزامير) فهي في العبرية (מִזְמוֹר، mizmōr)[٦]، وفي السريانية (mazmūrā) و(zāmūrā)[٧] وفي الحبشية (mazmūr)[٨]، وكلها بمعنى مزمور، وتطابق الصيغة العربية (مزمور) تماماً. أمّا الصيغة السريانية (zāmūrā) فهي تطابق الصيغة العربية (زبور)، بعد طرح أداة التعريف من الكلمة السريانية وهي الألف في نهاية الكلمة، والإبدال بين الميم والباء.

وإذا كنّا ندعي أن الزبور والزبر المذكورة في القرآن الكريم هي نفسها المزامير، فما هي العلاقة اللغوية بين الكلمتين، أو بالأحرى ما هو الرابط بين (زبر)

---

[١] - ابن منظور: **لسان العرب**، ط/٣، بيروت: دار صادر، ١٩٩٤م، مادة (زمر).

[٢] - Gesenius, W. -١٩٦٢- **Hebräisches und Aramäisches Handwörterbuch über das alte testament**. Berlin, Göttingen, Heidelberg., p.٢٧٤

[٣] - Hebräisches und Aramäisches Handwörterbuch über das alte testament, p.٢٧٤

[٤] - Costaz, L.-١٩٨٦- **Dictionnaire Syriaque – Franhçais, Syriac – Englis Dictionary**,Beyrouth, Liban., p.٨٩

[٥] - عبد التواب، د.رمضان: **في قواعد الساميات**، ط/٢، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٣م، ص٤١٠.

[٦] - Hebräisches und Aramäisches Handwörterbuch über das alte testament, p.٢٧٤

[٧] - Dictionnaire Syriaque – Franhçais, Syriac – Englis Dictionary, p.٨٩

[٨] - Hebräisches und Aramäisches Handwörterbuch über das alte testament, p.٢٧٤

و(زمر)؟ إذ نلاحظ أن الكلمة الواردة في القرآن الكريم بالباء، على حين وردت في اللغات السامية بالميم، فهل هناك إبدال بين الباء والميم، ولماذا هذا الإبدال؟ مع العلم أن الكلمة وردت بالميم أيضاً في العربية لكن ليس في آيات الذكر الحكيم.

إذا ما عدنا إلى بعض الكلمات الواردة في اللغات السامية وما يناظرها في اللغة العربية، سنجد أن قانون الإبدال بين الباء والميم وارد وبكثرة، فمثلاً: الزمن في السريانية (zaḇnā)[١]، والشربين، وهو شجر، نجده في الأكادية بالميم، وبصيغة (šurmēnu) أو (šurmānu) أو (šurmīnu)[٢]، وأبدلت هذه الميم باء في العربية والسريانية، فالشربين فيها (šūrbīnā)[٣]. ومَحَنَ، أي اختبر، هي في السريانية (b▪ an)[٤]، وهي في العبرية (בְּחַן، be▪ an) بإبدال الباء ميماً[٥].

إضافة إلى أن الإبدال بين الميم والباء وارد في اللغة الواحدة نفسها من اللغات السامية، ففي العربية، مثلاً، ذكر أبو الطيب الحلبي في كتابه الإبدال أمثلة كثيرة من كلام العرب تعاقبت فيها الباء والميم[٦]، مثل:

- يقال: رجل زِبِرٌّ وزِمِرٌّ، وهو الشديد القوي.
- أَرْبَى وأرْمَى: زاد على صاحبه.
- ويقال: نعامة رَبْداء ورَمْداء، وظَلِيمٌ أرْبَدُ وأَرْمَدُ.
- ويقال لأصل الذنب: العَجْبُ والعَجْمُ.
- والعِقْبَة والعِقْمَة: ضرب من الوشي.
- ويقال: أبِدَ عليه يأبَدُ، وأمِدَ يأْمَدُ: أي غضب عليه.
- والظّأبُ والظأم أيضاً سلف الرجل.
- وقال الأصمعي: يقال للعجوز اليابسة عَشَبَةٌ وعَشَمَة.
- وقال الأصمعي أيضاً: الرجبة والرجمة: ما تعمد به النخلة إذا خافوا عليها أن تسقط.
- ويقال: هو يرمي من كَثَبٍ ومن كَثَمٍ: أي من قرب.
- وما هذا بضربة لازبٍ ولازمٍ.

---

١ – Dictionnaire Syriaque – Franhçais, Syriac – Englis Dictionary, p.٨٣

٢ – Soden, W.V. –١٩٨٥- **Akkadisches Handwörterbuch**, Wiesbaden, ٣/١٢٨٤

٣ – السلامة، سليمان محمد أمين: **ألفاظ النبات في الأكدية والعبرية والسريانية**، أطروحة ماجستير، جامعة حلب، سورية، ١٩٩٩م. ص٩٨.

٤ – Dictionnaire Syriaque – Franhçais, Syriac – Englis Dictionary, p.٢٧

٥ – كمال، د.ربحي: **الإبدال في ضوء اللغات السامية، دراسة مقارنة**، بيروت: جامعة بيروت العربية، ١٩٨٠م، ص١١٩، ١٢٠.

٦ – الحلبي، أبو الطيب عبد الواحد علي اللغوي: **كتاب الإبدال**، تحقيق: عز الدين التنوخي، دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م، ص٣٧ وما بعدها.

وهذا الإبدال بين الميم والباء موجود في الكلمات العبرية، ومن أمثلة ذلك كلمة (רַב، rāḇ) تطلق على العظيم السامي، وبإبدال الباء ميماً يقال: (רָם، rām)، وهذان الاسمان هما من أسماء الله الحسنى في العبرية[1]، وشاهدهما:

קִרְיַת מֶלֶךְ רָב (مدينة الملك العظيم)[2].

ومثل: יְהוָה בְּצִיּוֹן גָּדוֹל וְרָם הוּא עַל־כָּל־הָעַמִּים (الرب عظيم في صهيون، وعال هو على كل الشعوب)[3].

ولدينا في العبرية أيضاً (זָרַב، zāraḇ)، (זָרַם، zāram) جرى/سال[4].

أمّا المسوغ الصوتي الذي يجيز الإبدال بين الباء والميم، فهو أن مخرج كل منهما من الشفتين، تتخذ الشفتان وضعاً واحداً عند النطق بأي منهما، وكلاهما مجهور، غير أن مجرى الهواء مع الميم من الأنف ومع الباء من الفم، والباء صوت شديد والميم متوسط بين الشدة والرخاوة[5].

أمّا العلاقة بين الاسم (مزمور/مزامير) بالآلة الموسيقية (المزمار) المعروفة بأنها عبارة عن آلة موسيقية تُتخذ من عيدان القصب، تُفرّغ ويُحدث فيها ثقوب ويقوم العازف بالنفخ فيها بحيث ينقّل أصابعه على الثقوب فتتعدد النغمات وتتنوع. وعلى حد علمنا كما جاء في التوراة وبعض الكتب التاريخية أن دواد عليه السلام كان يعزف على القيثارة أو العود، ولم يكن يعزف على المزمار، فمن أين جاءت التسمية (المزامير)؟

لعلنا نقف هنا عند حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام عندما سمع أبا موسى الأشعري يتلو آيات من القرآن الكريم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي موسى: "لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود"[6]. قال العلماء المراد بالمزمار هنا الصوت الحسن، وأصل الزمر الغناء[7]، وآل داود هو داود نفسه وآل فلان قد يطلق على نفسه،

---

[1] – الإبدال في اللغات السامية، ص١١٩.

[2] – المزامير، ٣/٤٨.

[3] – المزامير، ٢/٩٩.

[4] – الإبدال في اللغات السامية، ص١١٩.

[5] – أنيس، إبراهيم: **الأصوات اللغوية**، ط/٤، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧١م، ص٤٦، ١٣٤. وينظر أيضاً: السعران، محمود: **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**، ط/٢، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٧م، ص١٦٧، ١٨٤.

[6] – أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: **صحيح مسلم**، تحقيق: نظر بن محمد الفارابي أبو قتيبة، ط/١، الرياض: دار طيبة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، رقم الحديث: ٢٣٦.

[7] – ولا يقصد بالغناء ما نعرفه عنه الآن، وإنما الأمر يتعلق بالتنغيم واختلاف درجات الصوت، فقد دلّت الملاحظات الحديثة على أن كثيراً من اللغات في صورها القديمة كانت تعنى بالتنغيم، وتعدد الدرجات الصوتية، من صعود وهبوط في أثناء النطق، وأن مثل هذا قد أخذ في الانقراض تدريجياً حتى أصبح الأمر على الصورة التي نألفها الآن. كذلك لاحظ الباحثون أن تعدد الدرجات الصوتية لا يزال شائعاً في كثير من لغات الأمم البدائية، مما جعل المبشرين من الأوربيين يصفون القوم بأنهم يغنون في أثناء كلامهم حتى ليحسب السامع أن كل كلامهم غناء. وهم عادة ينسبون هذه الظاهرة إلى قوة العاطفة في هؤلاء القوم، فكلامهم وقت السرور يتضمن سلسلة متنوعة من الدرجات الصوتية. ينظر: أنيس، إبراهيم: **دلالة الألفاظ**، ط/٣، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦م، ص٣٤-٣٥.

وكان داود صلى الله عليه وسلم حسن الصوت جداً. وهذا من استحباب تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها؛ ولأن ذلك سبب للرقة وإثارة الخشية وإقبال النفوس على استماعه[1].

فمزامير آل داود المراد بها صوته الحسن، وأصل الزمر: الغناء وبه سميت آلة الزمر مزماراً، كذا قال كثير من أهل العلم فقد ذكر شيخ الإسلام في الاستقامة: أن نفس صوت الإنسان يسمى مزماراً كما قيل لأبي موسى: لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود[2]. وقال القرطبي في التفسير: قال العلماء المزمار والمزمور الصوت الحسن، وبه سميت آلة الزمر مزماراً[3]. فالمراد إذن التشبيه بصوت داود البالغ أقصى النهاية في الحسن عند قراءة الزبور أو عند الدعاء، وقد ذكر بعض العلماء أن إطلاق المزمار على الصوت الحسن مشتق من آلة الزمر، فقد فسر ابن حجر في الفتح مزامير آل داود بقوله: والمراد بالمزمار الصوت الحسن، وأصله الآلة أطلق اسمه على الصوت للمشابهة[4].

فيتبين لنا من الحديث وشرحه أن المقصود بالمزمار هو الصوت الحسن دون استخدام آلة موسيقية، أو هو طريقة الأداء في ترتيل وترنيم آيات الله عز وجل. وتغنّي داود عليه الصلاة والسلام وترنّمه بالزبور، هو تلاوته له دون آلة.

والمعلومات التي ذكرناها عن داود عليه السلام تشير إلى أنه كان حسن الصوت، وقد تمتع بمواهب موسيقية من صنف ممتاز، فقد أجاد اللعب على القيثارة ثم أنشأ فيما بعد المزامير والأناشيد[5]. وقوله تعالى في القرآن الكريم: "وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ"[6]. يشير إلى ما أعطاه الله ومنحه من الصوت العظيم، الذي كان إذا سبّح به تسبّح معه الجبال الراسيات، الصم الشامخات، وتقف له الطيور السارحات، والغاديات الرائحات، وتجاوبه بأنواع اللغات[7]. كما يذكر الله جل جلاله عن عبده ورسوله داود عليه السلام أنه كان أوّاباً: "وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ* إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ* وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ"[8]. والأوَّاب، هو الرجّاع إلى الله عز وجل في جميع أموره وشؤونه، وأنه تعالى سخّر الجبال تسبح

---

[1] – النووي، يحيى بن شرف بن مري الحوراني: **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (صحيح مسلم بشرح النووي)**، ط/١، القاهرة: المطبعة المصرية بالأزهر، ١٣٤٧هـ–١٩٢٩م، ٨٠/٦.

[2] – ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم: **الاستقامة**، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط/١، المدينة المنورة: جامعة الإمام، ١٤٠٣هـ، ٢٤٦/١.

[3] – القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر: **الجامع لأحكام القرآن والمُبَيِّن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان**، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ٢٦٥/٤١.

[4] – ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تحقيق: محمد كامل قرة بللي وعادل مرشد، بيروت: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ٨١/٩.

[5] – قاموس الكتاب المقدس، ص٢٤٨–٢٤٩.

[6] – سبأ/١٠–١١.

[7] – تفسير ابن كثير، ٤٩٧/٦.

[8] – ص/١٧–١٨–١٩–٢٠.

معه عند إشراق الشمس وآخر النهار، وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه، وترجه بترجيعه، إذا مر به الطير وهو سابح في الهواء وسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور، لا تستطيع الذهاب، بل تقف في الهواء، وتسبح معه وتجيبه الجبال الشامخات، ترجع معه، وتسبح تبعاً له[1].

فمعنى (المزمور) الطريقة التي كان داود عليه السلام يرنّم فيها كلام الله جل جلاله، وإنما أطلقت عليها هذه التسمية لأن فتحة المزمار من الأعضاء التي تمر عبرها الأصوات التي ينطقها الإنسان، وهي الفراغ بين الوترين، وله غطاء يسمى لسان المزمار وهو صمام الأمان يحمي التنفس عند عملية البلع. وفتحة المزمار تنقبض وتنبسط بنسب مختلفة مع الأصوات؛ ممّا يؤدّي إلى اختلاف نسبة شدّ الوترين الصوتيين واستعدادهما للاهتزاز؛ فكلّما زاد توتّرهما زادت نسبة اهتزازهما في الثانية؛ فتختلف تبعاً لذلك درجة الصوت[2]. وهذا ما يفعله الزامر عند يعزف على القصب، إذ يقوم بجمع نَفَسه وينفخ في أنبوب القصب، وهو ضيق متضام، فيمر الهواء متضاماً في هذا المضيق الممتد، وهذا يساعد في تولد الصوت وتكيفه، تماماً كما يفعل المغني أو المرنم أو المرتّل.

وقد شبّه ابن جني مجرى النَفَس أثناء النطق بالمزمار أو الناي، كما شبّه مخارج الحروف ومدارجها بفتحات هذا المزمار التي توضع عليها الأصابع، قال ابن جني:" ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الأجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها التي هي أسباب تباين أصدائها ما شبه بعضهم الحلق والفم بالناي فإن الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملس ساذجاً كما يجري الصوت في الألف غفلاً بغير صنعة فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة وراوح بين عمله اختلفت الأصوات وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم، باعتماد على جهات مختلفة، كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة "[3].

يبدو تكوين الصوت اللغوي عند ابن جني كتكوين الأصوات في الناي/المزمار، بحيث يصدر الصوت اللغوي بتحريك الهواء في اتجاه واحد خلال ممر مغلق، فتحدث في طريق خروجه وقفات واعتراضات في مواضع مختلفة في الحلق والفم تتسبب في حدوث أصوات متنوعة.

---

[1] – تفسير ابن كثير، ٥٧/٧.

[2] – الأصوات اللغوية، ص١٧.

[3] – ابن جني، أبو الفتح عثمان: **سر صناعة الإعراب**، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، ١٩٥٤، ٩/١.

يضاف إلى ذلك أن معنى (الزَّمْر) في العربية: التطريب والصوت الحسن، وشاهده قول عمرو بن أحمد الباهلي:

وَنّانِ حَنَّانَانِ بينهما وَتَرٌ أَجَشُّ غِنَاؤُهُ زَمْرُ[1]

ومن المشتقات الأخرى (الزَّمَارُ) وهو صوت النَّعَامِ، زَمَرتِ النعامة تَزْمِرُ زِمَارَاً[2].

رابعاً– دلالة كلمة (الزبور) في القرآن الكريم على حسب أقوال المفسرين:

ومن الدلائل على أن (الزبور) المذكور في القرآن الكريم هو مزامير داود، قوله عز وجل: "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ"[3]. فهذه الآية تؤكد على أنه يوجد نص صريح في الزبور يقرر حقيقة مهمة وهي أن عباد الله الصالحين هم من سيرثون هذه الأرض.

وبعد البحث عن تفسير هذه الآية في أمهات التفاسير، وجدنا أن أهل التأويل اختلفوا في المعني بـ(الزبور)، و(الذكر)، وهذه بعض الأقوال التي وردت في كتب المفسرين:

١–الزبور اسم عام: قال أهل التأويل: الزبور هو الكتاب وأن كل كتاب أنزله الله إلى نبي من أنبيائه فهو ذكر[4]، ولذلك جاز أن يقال للتوراة والإنجيل: زبور، من زَبَرْتُ، أي: كَتَبْتُ، وجمعه زُبُر[5]. كما يُطلق على القرآن، وعلى كتاب داود المسمى بالزبور[6]. وعمّم الزمخشري (الزبور)، فقال: هو اسم لجنس ما أنزل على الأنبياء من الكتب[7]. وأضاف الآلوسي: إذا أُريد منه الكتب كانت اللام فيه للجنس، أي كتبنا في جنس الزبور[8]. وهناك من قال: الزبور هو الكتاب المزبور، والمراد: الكتب المنزلة، كالتوراة ونحوها[9].

---

[1] – **شعر عمرو بن أحمد الباهلي**، جمعه وحققه: حسين عطوان، دمشق: مجمع اللغة العربية، د.ت، ص٩٢.

[2] – الفراهيدي، الخليل بن أحمد: **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، القاهرة: دار ومكتبة الهلال، د.ت، ٣٦٥/٧.

[3] – الأنبياء/١٠٥.

[4] – الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/١، القاهرة: دار هجر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٤٣١/١٦ وما بعدها.

[5] – تفسير القرطبي، ٣٠٠/١٤–٣٠١.

[6] – الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، ط/٢، دمشق– بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ٥٠٨/٣.

[7] – الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر: **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط/٣، بيروت: دار المعرفة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٦٨٨.

[8] – الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط/١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، ٩٨/٩.

[9] – السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، ط/١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٥٣١.

٢-الزبور الكتاب المنزل على داود عليه السلام: قيل المراد به هنا كتاب داود[١]، ومعنى (من بعد الذكر) أي اللوح المحفوظ[٢]. وقيل (الذكر) التوراة[٣]. وقال بعضهم: هو اسم للكتاب المقصور على الحكم العقلية دون الأحكام الشرعية؛ ولهذا يقال للمنزل على داود عليه السلام؛ إذ لا يتضمن شيئاً من الأحكام الشرعية[٤].

٣-الزبور هو القرآن: نقل الرازي عن قتادة: الزبور هو القرآن، والذكر هو التوراة[٥]. ونقل الطبري عن سعيد: كتبنا في القرآن من بعد التوراة[٦].

فيبدو أنه لم يشر أي من المفسرين إلى الكلام الذي ذكره الله في الزبور، كما أنهم ذهبوا مذاهب شتى في معنى الزبور في هذه الآية، فمنهم من ذهب إلى أن المقصود هو التوراة، أو الإنجيل، أو حتى القرآن، وقال بعضهم: الزبور الذي أنزل على داود، والذكر التوراة، ويبدو أنهم لم يهتدوا إلى نص الزبور الذي أشار إليه الله عز وجل.

إذن يشير الله تعالى إلى الكلام الذي سبق ذكره في مزامير داود عليه السلام، وإذا ما عدنا إلى مزامير داود سنجد أن هناك عدة مواضع تشير إلى أن الأرض يرثها عباد الله الصالحون، وهي:

١-المزمور السابع والثلاثون يؤكّد على وراثة عباد الله الصالحين لهذه الأرض، فقد جاء في هذا المزمور ما نصه: כִּי־מְרֵעִים יִכָּרֵתוּן וְקֹוֵי יְהוָה הֵמָּה יִירְשׁוּ־אָרֶץ (لأَنَّ عَامِلِي الشَّرِّ يُقْطَعُونَ، وَالَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ الرَّبَّ هُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ)[٧].

٢-وجاء أيضاً: עֲנָוִים יִירְשׁוּ־אָרֶץ וְהִתְעַנְּגוּ עַל־רֹב שָׁלוֹם (أَمَّا الْوُدَعَاءُ فَيَرِثُونَ الأَرْضَ، وَيَتَلَذَّذُونَ فِي كَثْرَةِ السَّلاَمَةِ)[٨].

٣-كما أن الذين يباركهم الله، أو المباركون، هم من يرثون أرض الجنة، أمّا الذين يلعنهم الله فلا مقام لهم فيها: כִּי מְבֹרָכָיו יִירְשׁוּ אָרֶץ וּמְקֻלָלָיו יִכָּרֵתוּ (الذين يباركهم الله يرثون الأرض، والذين يلعنهم ينزعون منها)[٩].

---

[١] – تفسير الطبري، ٤٣١/١٦. وتفسير الآلوسي، ٩٨/٩.

[٢] – تفسير الشوكاني ٥٠٨/٣.

[٣] – تفسير الزمخشري، ص٦٨٨. وتفسير الطبري ٤٣١/١٦.

[٤] – تفسير الآلوسي ٩٨/٩.

[٥] – الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الملقب بـ (فخر الدين الرازي): **مفاتيح الغيب- التفسير الكبير**، ط/٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ، ١٩٢/٢٢.

[٦] – تفسير الطبري ٤٣١/١٦.

[٧] – المزامير، ٣٧/٩.

[٨] – المزامير، ٣٧/١١.

[٩] – المزامير، ٣٧/٢٢.

٤–وورد في المزمور نفسه بدل كلمة (الودعاء) كلمة (الصالحون أو الصديقون): צַדִּיקִים יִירְשׁוּ־אָרֶץ וְיִשְׁכְּנוּ לָעַד עָלֶיהָ (الصالحون يرثون الأرض، ويسكنون فيها إلى الأبد)[١].

٥–وفي المعنى نفسه: קַוֵּה אֶל־יְהוָה וּשְׁמֹר דַּרְכּוֹ וְיָרוּמְמֶךָ לָרֶשֶׁת אָרֶץ בְּהִכָּרֵת רְשָׁעִים תִּרְאֶה (انْتَظِرِ الرَّبَّ وَاحْفَظْ طَرِيقَهُ، فَيَرْفَعَكَ لِتَرِثَ الأَرْضَ)[٢].

إن تكرار نص أن عباد الله الصالحين هم من سيرث الأرض بهذا الشكل الملفت للنظر في هذا المزمور على حين تخلو منه بقية أسفار العهد القديم والعهد الجديد البالغ عددها (٧٣) سفراً باستثناء جملة واحدة في إنجيل متى[٣] يعدّ دليلاً قاطعاً على أن الزبور هو مزامير داود عليه السلام، وأن الذي أشار في القرآن الكريم إلى وجود نص في الزبور يتحدث عن موضوع وراثة الأرض هو من أنزل التوراة والإنجيل والزبور والقرآن سبحانه وتعالى، فالله سبحانه وتعالى مطلع تمام الاطلاع على كل كلمة بل على كل حرف مما هو مكتوب في الكتب المقدسة سواء أصاب التحريف بعض نصوصها أم لم يصبها ويعرف تماماً أن جميع هذه الكتب لا تحوي في وضعها الحالي على النص المطلوب بل هو موجود فقط في الزبور.

وميراث الأرض هنا لا يكون في الدنيا، وإنما المقصود ميراثها للمؤمنين في الآخرة، وأرض الجنة التي وعدها الله المتقين، هي أرض الجنة التي لا يوجد فيها إلا السلامة التي يتلذذ بها المؤمن؛ يؤيد هذا الكلام قوله تعالى على لسان أهل الجنة: "وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ"[٤]، ويتأكّد أيضاً في هذه الآية أن المقصود بميراث الأرض هي أرض الجنة[٥].

وميراث الأرض تكرر في القرآن الكريم في أكثر من آية، وهو يقصد به ميراث أرض الجنة، حتى أن كلمة (يرثون) جاءت مقترنة بكلمة (الفردوس) جزاء للمؤمنين، وذلك في قوله تعالى: "الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ"[٦]. وجاء (الميراث) أيضاً مقترناً بالجنة في قوله تعالى: "وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا"[٧]. وكذلك في قوله تعالى: "وَنُودُوا أَنْ

---

[١] – المزامير، ٣٧/٢٩.

[٢] – المزامير، ٣٧/٣٤.

[٣] – ينظر سفر متى، ٥/٥، والمعنى أن الودعاء يرثون الأرض، ويتأكّد في هذا السفر أن المقصود هو أرض الجنة، لأنه يقول للودعاء في ١٢/٥: (افرحوا وابتهجوا، لأن أجركم في السماء عظيم).

[٤] – الزمر/٧٤.

[٥] – البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود: **تفسير البغوي "معالم التنزيل"**، حققه وخرّج أحاديثه: محمد عبدالله النمر وآخرون، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ، ٣٥٨/٥.

[٦] – المؤمنون/١١.

[٧] – الزخرف/٧٢.

تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا"[1]. وقوله: "تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا"[2]. وها هو نبي الله إبراهيم –عليه السلام– يدعو ربّه أن يجعله من ورثة الجنة، يقول تعالى على لسان إبراهيم: "وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ"[3].

وفي قوله تعالى: "وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا"[4]. قال المفسرون إن الزبور اسم الكتاب الذي أوحاه الله إلى داود عليه السلام[5]. وهذا تنبيه على فضله وشرفه[6]. كما ذُكر أن المعنى يتعلق بضبط الزاي، فإذا نُطقت (زُبُوراً) بضم الزاي، كانت بمعنى: جمع زَبور، أي آتينا داود كتباً وصحفاً مزبورة أي مكتوبة[7]، والزَّبْر: الكتابة، والزَّبور بمعنى المزبور، أي: المكتوب[8]، والأصل في الكلمة التوثيق، يقال: بئر مزبورة، أي: مطوية بالحجارة، والكتاب يسمى زَبوراً لقوة الوثيقة به[9]. ولأن الكتابة تضبط الكلام الشفهي إثباتاً ودواماً[10]. وأشار الراغب الأصفهاني إلى أن كل كتاب غليظ الكتابة يقال له (زَبُور) وخُصَّ الزَّبُور بالكتاب المنزّل على داود عليه السلام. وقيل بل الزَّبُور كل كتاب صعب الوقوف عليه من الكتب الإلهية، أمّا عن القراءة بضم الزاي (زُبُوراً) فذلك جمع (زَبُور) كقولهم في جمع ظَرِيف ظُرُوف، أو يكون جمع (زِبْر، وزِبْر) مصدر سُمّيَ به كالكتاب ثم جُمَع على زُبُر كما جُمع كتاب على كُتُب[11]. وقرأ الآخرون بفتح الزاي (زَبوراً)، وهو اسم الكتاب الذي أنزله الله على داود عليه السلام، يشتمل على مئة وخمسين سورة، وكان فيه التحميد والتمجيد والثناء على الله عز وجل، وليس فيه حرام ولا حلال ولا فرائض ولا حدود[12]. وإنما هي حكم ومواعظ[13]. وقال بعضهم: الزَّبور اسم للكتاب المقصور على الحِكَم العقلية دون الأحكام الشرعية، والكتاب لِما يتضمن الأحكام والحِكَم، ودلّ على ذلك أن زبور داود عليه السلام لا يتضمن شيئاً من الأحكام[14]. وأولى

---

[1] – الأعراف/٤٣.

[2] – مريم/٦٣.

[3] – الشعراء/٨٥.

[4] – النساء/١٦٣. والإسراء/٥٥.

[5] – تفسير ابن كثير، ٤٦٩/٢.

[6] – تفسير ابن كثير، ٨٨/٥.

[7] – تفسير البغوي، ٣١١/٢. ١٠٠/٥.

[8] – ذكر الأب هنريكوس لامنس اليسوعي أن مزامير داود كتاب من أسفار العهد القديم يقال له (الزبور)، وهو بالأصل كتاب بمعنى المزبور أي المكتوب، ومنه قول الشاعر: مقفراتٌ دارسات مثل آيات الزبور

ينظر كتابه: **فرائد اللغة في الفروق**، بيروت: المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ١٨٨٩م، ٣٦٠/١.

[9] – تفسير القرطبي، ٢٢٣/٧.

[10] – جبل، محمد حسن: **المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم**، ط/١، القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٠م، ص٨٧٢.

[11] – الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة، د.ت، ص٢١١.

[12] – تفسير البغوي، ٣١١/٢. ١٠٠/٥.

[13] – تفسير القرطبي، ٢٢٣/٧.

[14] – المفردات في غريب القرآن، ص٢١١.

القراءتين قراءة من قرأه بفتح الزاي على أنه الكتاب الذي أوتيه داود، كما سمّى الكتاب الذي أوتيه موسى (التوراة)، والذي أوتيه عيسى (الإنجيل)، والذي أوتيه محمد (الفرقان)، لأن ذلك هو الاسم المعروف به ما أوتي داود، وإنما تقول العرب: (زَبور داود) بذلك تعرف كتابَه سائر الأمم[1].

وفي أصل الاسم (الزبور) ذكر الآلوسي أنه اسم عربي بمعنى المزبور. وقال حمزة: هو اسم سرياني[2]. ولعلنا نقف هنا عند قول حمزة بأنه اسم سرياني، إذ يؤيد هذا القول ما ذهبنا إليه بأن الزبور هو المزامير، إذ وجدنا أن المزامير في السريانية هو (zāmūrā)، أي بالميم وليس بالباء، وقد أشرنا سابقاً إلى مسوغات الإبدال بين الميم والباء في اللغات السامية.

إذاً دخل الاسم السرياني (zāmūrā) إلى العربية فأبدلت الميم باءً، فأصبحت الكلمة (زبورا)، ووردت في قوله تعالى: (وآتينا داود زبوراً)، وعُوملت هذه الصيغة على أنها صيغة تنكير، أمّا صيغة التعريف فوردت في قوله تعالى: (ولقد كتبنا في الزبور)، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الصيغة السريانية (zāmūrā) هي صيغة تعريف؛ لأن الألف التي تأتي في آخر الأسماء السريانية هي أداة التعريف، إلا أن هذ الأداة أخذت تخلق بالاستعمال فأصبحت تلحق الأسماء في السريانية معرفة كانت أم نكرة.

خامساً– معنى (الزبور) على حسب السياق القرآني:

كلنا يعلم أن السياق هو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة، عندما تتساوق مع كلمات أخرى، مما يكسبها معنى خاصاً محدداً. فالمعنى في السياق هو بخلاف المعنى الذي يقدمه المعجم، لأن هذا الأخير متعدد، على حين أن المعنى الذي يقدّمه السياق اللغوي هو معنى معين له حدود واضحة وسمات محددة غير قابلة للتعدد أو الاشتراك أو التعميم. لذلك نعرض فيما يلي الآيات التي وردت بها الزبور أو الزبر؛ لنستشف معناها من خلال السياق:

١– الزبور/ زبور:

قال تعالى: "إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا". [النساء:١٦٣]

[1] – تفسير الطبري، ٤٠٢/٩.
[2] – تفسير الآلوسي، ٩٨/٩.

إذا كان لفظ (زبور) هنا بمعنى مزبور أي مكتوب، كما قال بذلك معظم المفسرين، يصبح المعنى: وآتينا داود كتاباً مكتوباً، فهذا المعنى لا يتوافق مع السياق، لأن الله عز وجل آتى بعض النبيين الذين ذكرهم في الآية نفسها كتباً مكتوبة، مثل إبراهيم عليه السلام الذي آتاه الله الصحف، وكذلك عيسى عليه السلام الذي آتاه الله الإنجيل. فيكون المعنى على حسب السياق: وآتينا داود عليه السلام الكتاب المسمى (الزبور)، وهذا بناء على من قرأ (الزبور) بفتح الزاي، وليس بضمها. وهذا من باب التفضيل لبعض الرسل عند الله عز وجل، ويؤيد ذلك قوله تعالى: "وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا". [الإسراء:٥٥]. أي أعطى الله تعالى نبيه داود فضلاً بأن آتاه الله الكتاب المسمى (الزبور)، فلا يكون المعنى: وآتيناه كتاباً مكتوباً (مزبوراً).

وربما يكون المعنى أن الله تبارك اسمه وهب لداود عليه السلام ميزة لم يعطها نبياً قبله ولا بعده وهي القدرة على تسبيح الله عز وجل بصوت جميل الذي إذا سبّح به سبحت معه الطيور والجبال، نظراً لجمال الصوت وروعته.

أمّا قوله تعالى: "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُون". [الأنبياء:١٠٥] فالسياق يدلنا، كما أشرنا سابقاً، إلى أن الله جل جلاله، يشير بلا شك إلى مزامير داود عليه السلام والتي كتب فيها أن الأرض يرثها عباد الله الصالحين، وقد أثبتت العودة إلى المزامير صحة هذا المعنى.

٢- الزُّبر:

أمّا صيغة (الزُّبر) فقد وردت في أكثر من آية في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: "فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ". (آل عمران/١٨٤). قيل إنَّ (الزبر) هنا جمع (زبور) وهو الكتاب، وقيل كل كتاب فهو (زبور)[١]، وأصله من (زبرت) أي: كتبت، وكل زبور فهو كتاب[٢]، واستُشهد على هذا المعنى بقول امرئ القيس:

لِمَنْ طَلَلٌ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي؟ كَخَطِ زَبُورٍ فِي عَسِيْبٍ يَمَانِي[٣]

[١] – تفسير الطبري، ٤٥١/٧.

[٢] – تفسير القرطبي، ٤٤٦/٥.

[٣] – الكندي، امرؤ القيس بن حجر: **ديوان امرئ القيس**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٠م، ص١٨٦. يقول نظرت إلى هذا الطلل فشجاني، أي أحزنني، وقوله: (كخط زبور)، أي قد درس وخفيت آثاره، فلا يرى منه إلا مثل الكتاب في الخفاء والدقة، وقوله: (في عسيب يماني)، كان أهل اليمن يكتبون في عسيب النخلة عهودهم وصكاكهم.

وقيل إن (الزبر) في هذه الآية: الكتب المزبورة، أي المكتوبة[١]. وقيل أيضاً: الزبور من الزَّبْر، بمعنى: الزجر، وزبرت الرجل: انتهرته، وزبرت البئر: طويتها بالحجارة[٢]. وقيل إن الزبر في هذه الآية هي الكتب المتلقاة من السماء، كالصحف المنزلة على المرسلين[٣].

وفي قوله جلَّ جلاله: "وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ". (فاطر/٢٥). قيل أيضاً: الزبر هي الكتب[٤]. أو الكتب المكتوبة، وقيل إنما كرر الزبر والكتاب وهما بمعنى واحد لاختلاف اللفظين، وقيل: ترجع البينات والزبر والكتاب إلى معنى واحد، وهو ما أنزل على الأنبياء من الكتب[٥].

إذا ما افترضنا أن (الزُّبر) في هاتين الآيتين السابقتين (الكتب المكتوبة)، فهذا المعنى لا يناسب السياق أيضاً، إذ يصبح المعنى: جاؤوا بالبينات والكتب المكتوبة والكتاب المنير، وقد فُسِّر (الكتاب المنير) بالتوراة والإنجيل، وهي من الكتب المكتوبة، فلماذا يعطف الكتاب المنير على الكتب المكتوبة، هذا يقودنا إلى أن (الزُّبر) هي إشارة إلى (الزبور) أي كتاب داود عليه السلام. و(الزبر) هنا جمع (زبور)، كما نجمع كلمة (رسول) على: (رُسُل).

وهذا ينطبق على قوله عز وجل: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ *بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (النحل/٤٤). إذ قيل إن كلمة (الزبر) هي الكتب[٦]، على حين يدلنا السياق على أن المقصود بـ(الزبر) الكتاب المنزل على نبي الله داود وهو (الزبور)، فأهل الذكر الذين يطلب منا الله أن نسألهم هم الذين نزلت عليهم التوراة والإنجيل والزبور، ثم قال: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ) أي القرآن الكريم.

فطالما أن الله عز وجل في الآيات السابقة لا يذكر الزبور إلا وجاء معه ذكر نبيه داود عليه السلام، ولا يذكر (الزبر) إلا عندما يعدد الكتب السماوية، أو عندما يذكر

---

[١] – تفسير البغوي، ٣٨٠/١.

[٢] – ابن فارس، أحمد: **مجمل اللغة**، دراسة وتحقيق: زهير سلطان، ط/٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ٤٤٧/٢.

[٣] – تفسير ابن كثير، ١٧٧/٢.

[٤] – تفسير ابن كثير، ٥٤٣/٦.

[٥] – تفسير القرطبي، ٣٧٢/٧.

[٦] – تفسير ابن كثير، ٥٧٤/٤. وتفسير القرطبي، ٣٢٩/١٢.

ما أُنزل على النبيين من الكتب، هذا يقودنا إلى أن الزبر هو إشارة إلى ما أنزل على نبي الله داود عليه السلام وهو (الزبور).

أمّا عندما ترد كلمة (الزبر) في غير هذا السياق، أي عندما لا يذكر الله الكتب السماوية الأخرى، فإن الكلمة تدل على عموم الكتب المنزّلة، وهذا المعنى ماثل في قوله تعالى: "وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ" (الشعراء/١٩٦) فالزبر: الكتب، الواحد: زَبُور[١]. وكذلك في قوله تعالى: "أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ". (القمر/٤٣). أي في الكتب المنزلة على الأنبياء بالسلامة من العقوبة[٢]. ومثله كذلك قوله تعالى: "كُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ". (القمر/٥٢). أي مكتوب عليهم في الكتب التي بأيدي الملائكة[٣]. أو في كتاب الحفظة، وقيل: في اللوح المحفوظ[٤].

أمّا كلمة (زبر) في قوله عز وجل: "آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا". (الكهف/٩٦). فمعناها مختلف، فزبر الحديد: هي قطع الحديد، وأصل الكلمة: الاجتماع، ومنه: زُبْرة الأسد: لما اجتمع من الشعر على كاهله[٥]. وقيل: الزبر: جمع زُبْرة، وهي القطعة من الحديد، وهي كاللَّبِنة، وكل لَبِنَة زنة قنطار، أو تزيد عليه[٦].

وهذا المعنى لا يختلف في قوله تبارك اسمه: "فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ". (المؤمنون/٥٣). فقوله تعالى: (زُبَراً) يعني كتباً وضعوها، وضلالات ألّفوها، وقيل إنهم فرّقوا الكتب، فاتّبعت فرقة الصحف، وفرقة التوراة، وفرقة الزبور، وفرقة الإنجيل، ثم حرّف الكل وبدّل، وقيل: أخذ كل فريق منهم كتاباً، آمن به وكفر فيما سواه. وقيل: جعلوا كتبهم قطعاً مختلفة، آمنوا بالبعض، وكفروا بالبعض، وحرّفوا البعض[٧]. و(زُبُراً) بضم الباء، قراءة نافع، جمع زبور، والأعمش وأبو عمرو بخلاف عنه: (زُبَراً) بفتح الباء، أي: قطعاً كقطع الحديد[٨]. أو: فرقاً وقطعاً مختلفة، واحدها (زبور) أي الفرقة والطائفة، أي صاروا فرقاً كزبر الحديد[٩]. فإن إيقاع التقطيع

---

[١] – تفسير القرطبي، ٧٦/١٦. وتفسير ابن كثير، ١٦٣/٦.

[٢] – تفسير البغوي، ٤٣٣/٧. وتفسير القرطبي، ١٠٢/٢٠.

[٣] – تفسير ابن كثير، ٤٨٦/٧.

[٤] – تفسير البغوي، ٤٣٦/٧. تفسير القرطبي، ١٠٨/٢٠.

[٥] – الأزهري الهروي، محمد بن أحمد: **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط/١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م، ١٩٦/١٣. وينظر أيضاً: الجوهري: **الصحاح في اللغة والعلوم**، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، القاهرة: دار الكتاب العربي، د.ت، مادة: (زبر).

[٦] – تفسير ابن كثير، ١٩٦/٥.

[٧] – تفسير البغوي، ٤٢٠/٥.

[٨] – تفسير القرطبي، ٥٣/١٥.

[٩] – تفسير البغوي، ٤٢٠/٥.

على الأمر، وصيرورته زُبَراً أي قطعاً يفسر بالشِيَع، كقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ"[1]. وهذا التفسير متفق مع الأصل، لأن ما يُضبط يتجمع كتلة واحدة ثم بوقوع التقطيع عليها تصير كتلاً[2].

[1] – الأنعام/١٥٩.

[2] – المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص٨٧٢.

سادساً: الخاتمة:

نستطيع القول بناء على ما تقدم إن لفظ (الزبور) المذكور في القرآن الكريم هو (مزامير داود) عليه السلام، في اللفظ والمعنى، وقد أثبت هذا القول العودة إلى هذه المزامير بناء على الإحالة التي أرادنا الله أن نعود إليها عندما قال: "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون"، فرأينا، بما يقطع الشك، في أن الله سبحانه وتعالى كتب في المزامير، وفي أكثر من موضع، أن الأرض يرثها العباد الصالحون.

كما أن قول حمزة المكي، وهو من هو، إن لفظ (زبورا) سرياني، وهذا القول لم يأت جزافاً أو توقعاً، بل يستند إلى حقيقة، وبعودتنا إلى اللفظ السرياني (zāmūrā) رأينا أنها يطابق الصيغة العربية (زبور)، بعد طرح أداة التعريف من الكلمة السريانية وهي الألف في نهاية الكلمة، والإبدال بين الميم والباء، وهو إبدال وارد في اللغات السامية بناء على ما تقدم من دلائل وأمثلة.

وبذكر النعم التي أنعمها الله تعالى على نبيه داود عليه السلام، ومنها الصوت العذب الذي كان يرنم به الزبور ويسبح به الله عز وجل، هذه النعمة دلّت على أن لفظ المزمور وجمعه المزامير، جاءت من الطريقة التي كان يرتّل بها داود عليه السلام كلام الله عز وجل بصوته العذب، فجذر الكلمة في اللغات السامية كما رأينا دلّت على معنى: رتّل، رنّم، غنّى، والدليل القاطع على هذا المعنى هو حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام عندما سمع أبا موسى الأشعري يرتّل آيات من الذكر الحكيم: ""لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود". إذ قال العلماء المراد بالمزمار هنا الصوت الحسن، وأصل الزمر الغناء.

المصادر والمراجع:

أ- العربية:

- الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني، (١٤١٥هـ)، ***روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني***، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط/١، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الأزهري الهروي، محمد بن أحمد، (٢٠٠١م)، ***تهذيب اللغة***، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط/١، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- أنيس، إبراهيم، (١٩٧١م)، ***الأصوات اللغوية***، ط/٤، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- أنيس، إبراهيم، (١٩٧٦م)، ***دلالة الألفاظ***، ط/٣، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، (١٤٠٩هـ)، ***تفسير البغوي "معالم التنزيل"***، حققه وخرّج أحاديثه: محمد عبدالله النمر وآخرون، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، (١٤٠٣هـ)، ***الاستقامة***، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط/١، المدينة المنورة: جامعة الإمام.
- جبل، محمد حسن، (٢٠١٠م)، ***المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم***، ط/١، القاهرة: مكتبة الآداب.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، (١٩٥٤م)، ***سر صناعة الإعراب***، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي.
- الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، (د.ت)، ***الصحاح في اللغة والعلوم***، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، القاهرة: دار الكتاب العربي.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، ***فتح الباري بشرح صحيح البخاري***، تحقيق: محمد كامل قرة بللي وعادل مرشد، بيروت: دار الرسالة العالمية.
- أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ***صحيح مسلم***، تحقيق: نظر بن محمد الفارابي أبو قتيبة، ط/١، الرياض: دار طيبة.
- الحلبي، أبو الطيب عبد الواحد علي اللغوي، (١٣٨٠هـ/١٩٦١م)، ***كتاب الإبدال***، تحقيق: عز الدين التنوخي، دمشق: مجمع اللغة العربية.
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الملقب بـ (فخر الدين الرازي)، (١٤٢٠هـ)، ***مفاتيح الغيب- التفسير الكبير***، ط/٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (د.ت)، ***المفردات في غريب القرآن***، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة، لبنان.
- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ***اشتقاق أسماء الله الحسنى***، تحقيق: د. عبد الحسين المبارك، ط/٢، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ***تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل***، ط/٣، بيروت: دار المعرفة.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ***تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان***، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، ط/١، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- السعران، محمود، (١٩٩٧م)، ***علم اللغة مقدمة للقارئ العربي***، ط/٢، القاهرة: دار الفكر العربي.
- السلامة، سليمان، (١٩٩٩م)، ***ألفاظ النبات في الأكدية والعبرية والسريانية***، أطروحة ماجستير، سورية: جامعة حلب.
- ***شعر عمرو بن أحمد الباهلي***، (د.ت)، جمعه وحققه: حسين عطوان، دمشق: مجمع اللغة العربية.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ***فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير***، ط/٢، دمشق- بيروت: دار الكلم الطيب.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/١، القاهرة: دار هجر.
- عبد التواب، د. رمضان، (١٩٨٣م)، ***في قواعد الساميات***، ط/٢، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- عبد الملك، بطرس، وآخرون، (١٩٨١م)، ***قاموس الكتاب المقدس الكامل***، تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، ط/٦، بيروت: مكتبة المشعل، بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (د.ت)، ***كتاب العين***، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، القاهرة: دار ومكتبة الهلال.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ***الجامع لأحكام القرآن والمُبَيِّن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان***، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/١، بيروت: مؤسسة الرسالة.

- ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر، (١٩٨٨م)، ***تفسير القرآن العظيم***، قدّم له: يوسف مرعشلي، بيروت: دار المعرفة.
- كمال، د.ربحي، (١٩٧٥م)، ***المعجم الحديث، عبري–عربي***، ط/١، بيروت: دار العلم للملايين.
- كمال، د.ربحي، (١٩٨٠م)، ***الإبدال في ضوء اللغات السامية، دراسة مقارنة***، بيروت: جامعة بيروت العربية.
- ابن منظور، (١٩٩٤م)، ***لسان العرب***، ط/٣، بيروت: دار صادر.
- النووي، يحيى بن شرف بن مري الحوراني، (١٣٤٧هـ–١٩٢٩م)، ***المنهاج في شرح صحيح مسلم ابن الحجاج (صحيح مسلم بشرح النووي)***، ط/١، القاهرة: المطبعة المصرية بالأزهر.
- اليسوعي، الأب هنريكوس لامنس، (١٨٨٩م)، ***فرائد اللغة في الفروق***، بيروت: المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين.

ب– الأجنبية:

- Costaz, L.–١٩٨٦- ***Dictionnaire Syriaque – Franhçais, Syriac – Englis Dictionary***,Beyrouth, Liban.

- Gesenius, W. –١٩٦٢- ***Hebräisches und Aramäisches Handwörterbuch über das alte testament***. Berlin, Göttingen, Heidelberg.

- **Soden**, W.V. –١٩٨٥- ***Akkadisches Handwörterbuch***, Wiesbaden.